جامــعة واســط
مجلـــــة كليـــــة التربيـــة

العدد الثاني والأربعون
الجزء الثاني/شباط/٢٠٢١

التأثير السياسي لليهود في روسيا حتى عام ١٩١٧

م.د. قابل محسن كاظم
وزارة التربية / مديرية تربية ذي قار
Hadr93@gmail.com

الملخص.

لليهود دور رئيس في الصراع السياسي والاقتصادي في روسيا ، لاسيما الصراع الايدلوجي بين الرأسمالية والاشتراكية ، كما كان لبعض الشخصيات اليهودية الثرية دور كبير للتأثير في اقتصاد البلد، مما انعكس على الجانب السياسي ، وبعد ان شعرت الحكومة بخطرهم أخذت تتحين الفرص للحد من تأثيرهم وتحجيمهم ، وقد استغلت ثورة ١٩٠٥، فبدأت بتسقيطهم وتوجيه التهم اليهم ، لكنهم سرعان ماعادوا نشاطهم ، وصار لهم ثقل سياسي بعد نجاح الثورة البرجوازية ١٩١٧، ومساندتهم للحكومة المؤقتة ، واشترك بعضهم في الواجهة السياسية لها ، مما جعل لهم تأثير في توجيه سياسة الحكومة ، وبعد نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية ١٩١٧ ،اضطرب وضعهم الاقتصادي واخذوا يتقربون الى الحكومة الجديدة .

الكلمات المفتاحية : الرأسمالية اليهود الثورية الاشتراكية البلاشفة العمال.

Political influence of Jews in Russia until 1917

Dr.Qabil mohsin kadhim

Abstract

The Jews played a major role in the political and economic conflict in Russia, particularly the ideological conflict between capitalism and socialism, as some wealthy Jewish figures had a great role to influence the country's economy, which reflected on the political side, and after the government felt their danger began to take advantage of the revolution of 1905, it began to water them and charge them, but they soon resumed their activity, and became political heavyweight after the success of the bourgeois revolution of 1917. After the success of the October Socialist Revolution of 1917, Jews were brought closer to the new government.

Keywords:Jewish Revolutionary Capitalism Socialist Bolshevik Workers.

المقدمة .

هناك حلقات متصلة في التاريخ لا يمكن ادراكها الا مكتملة، وهي حلقات لا يمكن عزلها عن مجمل التطورات والاحداث التي تحدث على الاراضي الروسية، وتأتي دراسة التأثير السياسي لليهود في روسيا لما لهم دور كبير في الصراع الايديولوجي بين الاشتراكية والرأسمالية، فضلا عن تأثيرهم على النضال الفلسطيني، وقد حرصت في هذا البحث على تتبع الخلفية التاريخية ليهود السوفييت، وما حملته تلك الخلفية من ارث على مجمل الاحداث في روسيا حتى الثورة الاشتراكية.

قسمت البحث الى ثلاثة اقسام، تضمن القسم الاول، هجرة اليهود الى روسيا، واوضحت فيه اسباب تلك الهجرة، والظروف التي سمحت لهم للبقاء فيها، ثم استغلال حالة الضعف التي مرت بها روسيا بعد حرب القرم، وشراءهم للاراضي وتوسعهم الاقتصادي.

اما القسم الثاني، فكان النشاط السياسي لليهود حتى عام ١٩٠٥، وركزت فيه على القرارات الروسية التي ساعدت اليهود على الانفتاح والوعي ودخولهم في الجامعات والمعاهد الروسية وتشكيلهم جمعية سرية للعمل السياسي، ثم انضمام البعض منهم الى حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي بعد تأسيسه، فضلا عن تأسيسهم تنظيم نقابي للعمال اليهود والذي عرف بأسم (البوند).

وكرس القسم الثالث على المسار السياسي لليهود حتى عام ١٩١٧، واوضحت فيه الاجراءات التي اتخذتها الحكومة القيصرية بعد اتهام اليهود بالتحريض على الحكومة في ثورة ١٩٠٥، واتهامهم في الحرب العالمية الاولى بالتجسس لصالح المانيا، وكيفية مساندة اليهود فيما بعد لثورة شباط البرجوازية عام ١٩١٧، وانتعاش امورهم الاقتصادية، لكن الثورة الاشتراكية ١٩١٧، بدأت بالتطبيق الاشتراكي الذي تبناه الحزب البلشفي، كان له التأثير الكبير على مسيرة اليهود الاقتصادية في روسيا.

اولاً: هجرة اليهود الى روسيا.

يعود تدفق اليهود على المجتمعات الاقطاعية في الاراضي الروسية الى القرن الحادي عشر، اذ تم العثور على نقود تحمل حروفا عبرية، وقد انحسر الوجود اليهودي في مدينة كييف، والتي كانت خاضعة تحت سيطرة الامبراطورية البولندية (S.W Dub now, 1975, P.39)، علما ان موقع اليهود تعزز في الاراضي البولندية، بسبب حمايتهم من قبل الامراء البولنديين، وتعزز موقعهم أكثر بعد أن منحتهم السلطة نوعاً من الاستقلال الذاتي في ادارة شؤونهم الادارية والقضائية والاجتماعية (ليون، ١٩٧٠، ص١٨).

برزت دوقية موسكو الى الوجود خلال القرن الخامس عشر، وبدأت تتجه نحو المدنية، وتشكلت نواة برجوازيتها المحلية، وكانت مصدر اغراء للتجار اليهود الباحثين عن الاسواق التجارية والفراء

الروسي، لكن امراء الروس وعلى رأسهم (ايفان الرهيب)* منعوا دخول التجار الى موسكو، كما انه امر باحراق البضائع المهربة التي يجلبها التجار سرا الى موسكو عند ابواب المدينة ومعاقبة التجار (S. W Dub now, OP. Cit, P.40.) . ويبدو ان الروس يرفضون ثقافة ودين اليهود، ومتمسكين بديانتهم الارثوذكسية.

في القرن السابع عشر استعادت السلطة الروسية بعض اراضيها الخاضعة تحت سيطرة الامبراطورية البولندية، والتي تضم عددا من اليهود، لكن الحكومة الروسية سمحت لهم بالبقاء، وقد شكلوا فيما بعد ما يعرف بيهود موسكو، وفي الوقت نفسه تم ضم اوكرانيا للامبراطورية الروسية، وكان يتواجد على اراضيها مجموعات كبيرة من اليهود، لكن السلطة القيصرية بقيت على موقفها من التجار اليهود، رغم التشجيع لكل الاجانب الذين دخلوا روسيا للعمل في موسكو، لاسيما في عهد بطرس الأكبر، الذي كان ينظر اليهم بأنهم يمتازون بالغش والنذالة(Ruppin Arthur,1934, P.135) ، ومع تقدم القرن الثامن عشر اتسعت الامبراطورية الروسية، وبدأت تنافس الدول الاستعمارية على مراكز النفوذ وتحاول اللحاق بها، فقد اتخذت (Cathrain 11 – كاثرين الثانية)**عام ١٧٦٣ قرارا بفتح روسيا امام التجار الاجانب، فكان اليهود من اوائل المهاجرين اليها، وسمح لهم الاقامة في منطقة عرفت بـ (روسيا الجديدة). (S.W Dub now, op. Cit, P.245).

وبعد تقسيم بولندا عام ١٧٩٥، انتقل اغلب اليهود الذين يقطنون فيها الى روسيا، وصاروا ضمن رعايا الامبراطورية الروسية، وكانوا اغلبهم من صغار التجار ويُعدون من يهود الدرجة الثانية، في حين بقيّ يهود الدرجة الاولى، وهم يهود التاج، اي المقربون من الامراء والملوك في وارشو.
(Arthur Rupp in, 1934, P.133)

اعترفت الحكومة الروسية باليهود بصفتهم رعايا وليسوا مواطنين، تحت اسم رعايا الامبراطورية الروسية من اتباع الدين اليهودي، وتم تصنيفهم ضمن الطبقة الوسطى الدنيا، حسب التقسيم الطبقي السائد في الامبراطورية الروسية(andrey diky, 1967, p.48) ، وفرضت عليهم الحكومة الروسية رسوم مضاعفة عند تسجيلهم بجمعيات التجار تبعا للقوانين السارية على الرعايا.
(S. W Dub now, OP. Cit, P.313.)

مارس اليهود عملهم التجاري، رغم الظروف الصعبة التي يمرون بها، وتمكنوا من جمع الاموال والسيطرة على اقتصاديات مناطق سكناهم او ما يسمى بـ (الحظيرة اليهودية)،مما تسبب بنقمة الفلاحين عليهم (Joseph Nedave, 1971, P.87) ، وصادف في هذه المرحلة بروز البرجوازية الروسية والتي تنافست مع البرجوازية التجارية اليهودية، وادى هذا التنافس الى مطالبة الحكومة بالحد من اليهود، لذا اصدرت الحكومة مجموعة من القرارات عام ١٨٠٤ كان ابرزها قرار منع اليهود من

الاتجار بالكحول، لكن هذا القرار لم يصمد امام الضغط ولم يكتب له النجاح، لان الاقطاعيين عارضوه لارتباطه بمصالحهم، فضلا عن عدَّهم اليهود افضل من يجيد الاتجار بالكحول، كما اصدرت الحكومة قرارا اخر يقضي بمنع اليهود من الدخول الى القرى، وقرارا اخر يلزم اليهود باداء الخدمة العسكرية الاجبارية، لكن هذا القرار واجه معارضة يهودية شديدة، واستعملوا كل الوسائل لابعاد ابنائهم من الخدمة العسكرية، لاسيما دفعهم الرشاوي لقاء عدم ذكر ابنائهم واختيارهم للخدمة العسكرية . (Andrey Diky, OP. Cit, P.70.)

بعد هزيمة روسيا في حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)*** ، تدهور الاقتصاد الروسي، فانتشر الفقر والتخلف والظلم الاجتماعي، مما ادى الى تذمر الشعب وعلى اثر ذلك اتخذت الحكومة الروسية جملة من القرارات، كان ابرزها قرار الغاء القنانة وتفتيت الاقطاع عام ١٨٦١، والتوجه نحو الصناعات الحديثة والثقيلة (Andrey Diky, OP. Cit, P.313.) ، لكن المشاريع الصناعية التي بدأت الدولة تنفيذها لا تستوعب الفلاحين المتدفقين من الريف، كما ان الاجور كانت منخفضة جدا لا تسد متطلبات الحياة المدنية (Isaac Rubinow, 1975, P.101.) ، ونظراً لتراكم الاموال في ايدي التجار اليهود، اتجهت الدولة الى الافادة منهم وتشغيل اموالهم، لذا اصدرت قرارا سمح لبعض القطاعات اليهودية بالاقامة في اي مكان، بعد ان كانوا محددين في الحظيرة اليهودية، وقد ساعد هذا القرار على تدفق التجار اليهود للمدن الروسية، وتمكنوا من توظيف اموالهم في مختلف المجالات. (S. W Dub now, OP. Cit, P.177.)

استغل اليهود الضعف الاقتصادي للدولة والقرارات التي اصدرتها، فاتجه البعض منهم الى شراء الاراضي بعد تفتيت الاقطاع، وحولوها الى مزارع متطورة حديثة، تمكنوا من خلالها بسط سيطرتهم على تجارة الحبوب والسكر، مما ساعدهم على تكوين طبقة من كبار الرأسماليين اليهود، وصاروا يتمتعون بقسط من النفوذ، فضلا عن رعاية السلطة القيصرية لهم التي استفادت من اموالهم .
(Andrey Diky, OP. Cit, P.84.)

في اواخر القرن الثامن عشر سيطر اليهود على التجارة، وتحكموا في الاسعار، وعملوا على بيع البضائع بأسعار رخيصة، وصار لهم اليد الطولى في الزراعة، كما ان اعدادهم قد تزايدت بما يقارب خمس مرات (S. W Dub now, OP. Cit, P.194)

وصار لهم تأثير كبير في المجتمع الروسي، لذا تراجعت السلطة الروسية عن سياستها الرامية لدمج اليهود في المجتمع الروسي ومنحهم الحقوق الاجتماعية والاقتصادية التي يتميز بها الشعب الروسي، فقد عملت الحكومة على صهرهم مع المجتمع وطمس معالم دينهم وثقافتهم وحتى لغتهم، لذا استعملت الحكومة الكثير من الاساليب لالغاء الثقافة اليهودية، فقد تبنت الحكومة حملة واسعة لخطف

الأطفال اليهود وادخالهم في المدارس الحكومية لتعلمهم اللغة والثقافة (Ernest Mandel, 1999, P.21) ، كما اصدرت الحكومة قرارا نص على ابدال اليهود لملابسهم التقليدية بملابس الروس المحليين، فضلا عن ارغامهم على تغيير عاداتهم وتقاليدهم بما فيها قص الشعر، وكذلك اصدرت الحكومة قانون يمنع اليهود من امتلاك عقار في المناطق الريفية . (التكريتي، ٢٠٠٠، ص١٧؛ Ernest Mandel, OP. Cit, P.21.)

لم تحقق تلك القرارات اهدافها، بل ادت الى تفاقم المشكلة، فعملت الحكومة الى معالجتها فعمدت الى تشكيل لجنة لدراسة المشكلة ومعالجتها والتي عرفت بـ (المشكلة اليهودية)، وبعد الدراسة طلبت اللجنة من الحكومة الغاء كل القرارات التي ساعدت اليهود على ممارسة نشاطاتهم التجارية، والغاء عملية دمجهم مع المجتمع الروسي (S. W Dub now, OP. Cit, P.195.) ، ولكن عملية اقصاء اليهود لم تؤدِ الى تحسن الاوضاع الاقتصادية الروسية.

ثانيا: النشاط السياسي لليهود حتى عام ١٩٠٥.

بعد ان اصدرت الحكومة الروسية مجموعة من القرارات والاصلاحات والتي ساعدت اليهود على الانفتاح وبداية الوعي، حيث تدفقت اعداد كبيرة من الطلبة اليهود على الجامعات الروسية، وساعدهم ذلك على الاحتكاك بالاخرين، مما نتج عنه التعرف على ثقافة الاخرين والتأثر بها، وكذلك الاطلاع على الحركات الثورية(Louis Greenberg, 1965, P.147.).

بعد تخرج الطلاب اليهود من الجامعات الروسية، اتجه المثقفون منهم بالانخراط في الحركة الثورية المتمثلة بحركة (الناردنيك)، وقد تمثل موقفهم هذا بالاندفاع نحو التمثيل والانصهار مع الطبقة الروسية الفقيرة والمضطهدة وهي طبقة الفلاحين وهم غالبية الشعب الروسي والتي تضمهم هذه الحركة. (Louis Greenbery, Op. Cit, P.147.).

لقد تمرد اليهود على الواقع اليهودي، وتخلوا عن خلفيتهم اليهودية، وطالبوا بالغاء الطبقية اليهودية التي تتسم بالاستغلال للجماهير الفلاحية، فضلا عن مطالبتهم بانصاف الفلاحين، وآمنوا بان تحرير الشعب اليهودي مرتبط بتحرير الشعب الروسي من التسلط الاقطاعي القيصري، كما عملوا على انهاء استغلال التجار اليهود للشعب الروسي (S. W Dub now, OP. Cit, P.198; Louis Greenbery, Op. Cit, P.148.) ، وعبر عن ذلك (اكسيلورد – Axelrod)**** بقوله: "**المشكلة اليهودية ستنتهي امام عهد من الاخاء والمساواة**".

(Louis Greenbery, Op. Cit, P.148.).

شنت الحكومة القيصرية حملة اعتقالات واسعة ضد حركة الثوريين النارودنيك، لكن اليهود وبعض المثقفين اتجهوا الى العمل السري فشكلوا مجموعة جديدة عرفت بـ (النارودنايا فوليا)***** ، اي ارادة الشعب السرية، وقد اتجهت اعمالها نحو الاغتيالات، لكنها فشلت في اغتيال الكسندر الثاني، مما ترتب عليه اعدام اليهودي (اهرون غوبيت) بعد محاولته الفاشلة، كما تم الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة على اليهودي (هيسيا غيليغمان) للسبب ذاته، وقد مات على اثرها في السجن. (Louis Greenbery, Op. Cit, P.148.).

بعد انتشار الفكر الماركسي في روسيا، اتخذت الحركة الثورية اليهودية طابعاً آخر، وهو ما يسمى الثورة البروليتارية، وانضم قسم من اليهود الى حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، الذي تأسس عام ١٨٩٨(Gerard Israel, 1975 . P.100.).

وتمكن عدد من المثقفين الماركسيين اليهود من تأسيس الاتحاد العام للعمال اليهودي في روسيا وليتوانيا وبولندا عام ١٨٩٨، وصار يعرف بـ (البوند – The Bund)******* ، وكان اول تنظيم نقابي جمع فيه العمال اليهود، وبدأوا بحملة لتثقيف العمال اليهود وتعليمهم المبادئ الماركسية، وبث روح الاممية في صفوفهم، وركزت مطالبهم على تخصيص ساعات العمل، وزيادة الاجور، واخذوا يطلقون عليه اسم الحزب الاشتراكي اليهودي . (Joseph Nedave, Op. Cit, P.87).

ومن الجدير ذكره ان (مارتوف – Martov)******** ذكر في خطبة القاها عام ١٨٩٥ بمناسبة عيد العمال العالمي، اكد فيها فيها على ضرورة تأسيس حزب يهودي خاص بهم، قائلا: "**ان مهمة الاشتراكيين، العمل على تنظيم عمالي يهودي منفصل، ليثقف البروليتاريا اليهودية للنضال والعمل على تحررها الاقتصادي والسياسي.** (Joseph Nedave, Op. Cit, P.87)

بعد ان اتسعت المطالبة بتشكيل تنظيم عمالي خاص باليهود، بدأ البوند بالانحراف عن اهدافه المتمثلة بالاممية، والاتجاه نحو الدعوة القومية، ومن الغريب ان يعقد البوند مؤتمره التأسيسي الاول بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني بشهر واحد فقط عام ١٨٩٧ . (I bid, P.87-88.)

على الرغم من التوجه القومي للبوند، لكنه نادى بأن تكون روسيا وطنا لليهود وبلغة اليديش، وعدها لغة رسمية لهم، وبذلك مثّل فصيلا مهما من فصائل الحركة الاشتراكية، لكنه اختلف بهذا الموقف مع الصهيونية التي مثلت فصيلا مهما من فصائل الرأسمالية الاستعمارية، ويذكر اليهودي (هنري توبياس)، بأن البوند يعدُّ الصهيونية عدوا ايديولوجيا، وانها هدف الرأسماليون اليهود، وبذلك فأن التوجه القومي الذي طرحه البوند يختلف تماما عن التوجه الصهيوني الذي يطالب بمنح اليهود نوع من الاستقلال الذاتي . (Henry Tobias, 1972, P.253.)

في عام ١٩٠٤ نشر البوند مقالة ووزعها على اليهود القاطنين في روسيا، اكد فيها عدائه للصهيونية العالمية، مؤكدا ان روسيا وطنهم وتربطهم مع الشعب الروسي روابط وثيقة، وانهم يعيشون في روسيا مسالمين ينبذون اعمال العنف .(Ibid, P.553-554.) .

ويبدو انهم يسعون الى كسب الشعب الروسي ، لاسيما بعد الانشقاق الذي حصل في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، وانضمامهم الى جانب المناشفة على الضد من البلاشفة.

وفي مقالة اخرى، اوضح البوند لدول اوربا الغربية بأن غالبية الشعب اليهودي، لاسيما الشباب مخالف ومعادٍ لمعسكر الصهيونية بعد اعتناقهم للعقيدة الثورية، مؤكدا في الوقت نفسه ان ذلك لا يختصر على العمال فقط، بل شمل ابناء العائلات الثرية والطلاب والمثقفين، وقد عزز من ذلك الرسالة التي بعثها اليهودي حاييم وايزمن الى هرتزل في مايس ١٩٠٣. , Haim Wezmann, (1971, P. 307.) ويبدو ان الهدف من الرسالة هو استقطاب أكبر عدد ممكن للساحة العمالية اليهودية.

شهد عامي (١٩٠٤–١٩٠٥) حدثاً بارزاً يتمثل بالحرب الروسية – اليابانية، بسبب الخلاف حول الجز اليابانية ومسألة الحدود،(John Spargo, 1919, P.20.) وعلى اثرها تكبدت روسيا الهزائم الكبيرة، واضطرارها توقيع معاهدة بورتسموث، والتي بموجبها تنازلت روسيا عن ميناء بورت ارثر وجزيرة سخالين لليابان، فضلاً عن امتياز خط سكة حديد منشوريا (A Alivanov and Pjowett, 2004, P. 3; В.А. ПоТатуров, 2004, С.25.).

وقد أدت هذه الهزائم الى تزعزع الاقتصاد الروسي وارتفاع الأسعار، مما ترتب عليه المطالبة الشعبية بالاصلاحات، لاسيما مطالب الفلاحين بتغيير قوانين الأرض، كما سعى العمال الى تحسين ظروف العمل وزيادة الاجور، فضلاً عن المطالب السياسية المتمثلة بوضع دستور للبلاد، حرية الصحافة، حرية الرأي، وغيرها، لكن الحكومة القيصرية رفضت الاستماع لهذه المطالب (Роберт Конквест,1988, С.14;John Spargo, Op. Cit, P. 20-21; A Aivanov and Pjowett, Op. Cit, P.4) ، لتبدأ مرحلة جديدة تمثلت في التظاهرات الشعبية لاصلاح اوضاع البلد.

ثالثا: المسار السياسي لليهود (١٩٠٥–١٩١٧) .

استاء الشعب الروسي من رفض الحكومة القيصرية مطالبهم، فتظاهر الآلاف، وحصل الصدام مع الحكومة، مما تسبب بمقتل المئات، وتأجج الموقف، واندلعت الثورة في انحاء عديدة من البلاد الروسية(Abraham Ascher, 2008, P.15; В.А. ПоТатуров, Там же, С. 55-56) ، اضطر القيصر الروسي (نيقولا الثاني–Nacolla 11) (١٨٦٨–١٩١٨) الى الموافقة على

الاصلاحات السياسية ومنها، اجراء انتخابات عامة، تشكيل برلمان او ما يسمى مجلس الدوما، اطلاق الحريات العامة، السماح للاحزاب السياسية بمزاولة نشاطها، لكن هذه الاصلاحات لم تدم طويلا، وكان الهدف منها تهدئة الوضع والسيطرة عليه .

(Neil Harding, 2000, P.334.).

استغلت الحكومة القيصرية الاحداث والاضطرابات التي عمت انحاء البلد لضرب الحركة الثورية ووصفتها بأنها حركة يهودية، وسلطت وزارة الداخلية منظمة (المئات السود)******** على اليهود والاشتراكيين، وقد صار اليهود كبش الفداء للمنظمة المذكورة، فضلا عن نشر الكراهية لليهود داخل الشعب الروسي، واستغلت الحكومة القيصرية هذه الكراهية، ونشرت مفاهيم تؤكد على ان اليهود يسعون الى تحطيم روسيا والقضاء على العنصر السلافي. (Vladimir Moss, 2010, P.128)

خلقت الحكومة القيصرية الاعذار لتبرير اعمالها القمعية ضد الحركة الثورية، ووصفتها بأنها حركة يهودية، وقد نشرت الحكومة كتابا مزورا بأسم (بروتوكولات حكماء صهيون)، وعدته يحرض على الثورة والعنف ضد الحكومة القيصرية (Andrey Diky, OP. Cit, P.138.) ، وقد نشره احد رجال الكنيسة الارثوذكسية وهو القس (سيرجي نينولس)، وهذا الكتاب مزور لا يمت للحقيقة بصلة، القصد منه ابتكار حجة تبرر للحكومة القيصرية اعمالها القمعية ضد الحركات الثورية، وتوحي بانها حركات يهودية، الامر الذي استغلته الحكومة، وقامت بحملة مطاردة لكافة العناصر الثورية، ومن الجدير بالذكر ان الحملة اتخذت طابعا شوفينياً، اذ ركزت على الاقليات من يهود وبولنديين بعدّهما يمدان الحركات الثورية بالعناصر الفاعلة والمنظمة . (Andrey Diky, Op. Cit, P.138.)

وعلى اثر الاجراءات التعسفية التي اتبعتها الحكومة القيصرية ضد اليهود، هاجر عشرات الالاف من العمال الحرفيين والصناعيين المهرة خارج البلاد الروسية، مما اضطر حزب البوند الى الانضمام لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي عام ١٩٠٦، وتمكنوا من تشكيل ما يعرف بـ (اتحاد البوند وحزب عمال روسيا الاشتراكي – الديمقراطي) (دويتشر ، ١٩٧٢، ص٧٦.) ، لكن طبيعة البوند البرجوازية الرثة افقدهم التلاحم المصلحي والوعي الطبقي مع حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، مما ادى الى تشتت البوند بعد فشل ثورة ١٩٠٥ وانهاء فاعليته على الرغم من تواجده الشكلي. (Andrey Diky, OP. Cit, P.138.)

وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى، اتهمت السلطة القيصرية اليهود بالتجسس لصالح المانيا، بعد ان منحت المانيا تسهيلات لنقل اليهود الى روسيا، كما ان القادة الاشتراكيين كانوا مؤيدين لهذا الاجراء، ووضعوا بعض الترتيبات لتسهيل سفر اليهود بواسطة السكك الحديدية بوصفهم ثوار

(Antony G. Sutton, 2001, P.24.)، وقد عملت الحكومة على نقل اليهود المقيمين في المناطق الغربية الى وسط روسيا دون تمييز ودون التأكد من ولاء البعض منهم للحكومة الروسية.
(Andrey Diky, OP. Cit, P.138-139.)

رغم الخلافات السياسية في المعارضة الروسية، لاسيما بين البلاشفة والمناشفة، لكنهما رفضا فكرة وجود اي خصوصية للمسألة اليهودية بشكل تام، والتزم البلاشفة بالتحليل الماركسي للمسألة اليهودية، مؤكدين بان حلها جزء من الحل الشامل الذي سيؤول الى تحقيق الاشتراكية بقيادة العمال، وبالتالي انصهار اليهود في المجتمع الروسي الاشتراكي. (Ibid, P.140.)

في عام ١٩١٥، اصدرت الحكومة القيصرية قرارا سمح لليهود بدخول الجامعات والمعاهد العليا في البلاد الروسية، كما سمح لهم الاقامة خارج حدود الحظيرة الروسية، وكان الهدف من هذا القرار، امتصاص النقمة اليهودية على اثر التهجير القسري الذي قامت به الحكومة الروسية ضدهم.
(Arthur Ruppin, Op. Cit, P.43.).

وفي اعقاب القرار الذي اصدرته الحكومة الروسية بتهجير اليهود الى وسط روسيا، بادرت الدول الغربية، لاسيما بريطانيا الى اصدار قوانين تنص معظمها على منع دخول المهاجرين اليهود الى اراضيها، وكان ذلك ضمن لائحة عرفت بـ (لائحة الغرباء) في عهد وزارة جيمس ارثر بلفور، كما حذتا فرنسا والمانيا حذو بريطانيا، فأصدرتا قرارات مشابهة، مما اغلقت الابواب امام اليهود، فلم يبقَ امامهم الا الهجرة للولايات المتحدة الامريكية، لكن نفقات السفر المرتفعة حالت دون ذلك، فضلا عن اصدار الولايات المتحدة الامريكية عددا من القوانين التي ركزت على منع دخول المهاجرين اليهود اليها (M. Джудит, 1994, C.142–144.) ، لذا استغلت التنظيمات الصهيونية الظروف التي يمر بها اليهود، واخذت تحثهم على الهجرة الى فلسطين. (Arthur Ruppin, Op. Cit, P. 44.)

عندما قامت ثورة شباط البرجوازية عام ١٩١٧، كان اليهود في حالة تفكك نتيجة ظروف التهجير القسري الذي عملت به الحكومة القيصرية، لذا سارع اليهود الى تأييد الحكومة المؤقتة، والتي وجدت منهم عاملا مساعدا لتوجهاتهم الداخلية والخارجية، فضلا من انهم قوة لا يستهان بها لمواجهة اعدائهم(John Spargo, Op. Cit, P. 91.) ، وبناءً على ذلك الغت الحكومة المؤقتة كافة القوانين السابقة التي تُقيّد اليهود، فضلا عن اصدار قوانين تؤكد على مساواتهم مع المواطنين الروس في الحقوق المدنية . (Ibid, P. 92)

بعد ان خفّ الضغط عن اليهود، انطلقت التنظيمات المختلفة لتمارس نشاطها بصورة علنية وبحرية تامة وبعلم الحكومة المؤقتة التي وجدت في اليهود حليفا لتوجهاتها السياسية في الداخل والخارج بعد التأييد الكبير من اليهود، لاسيما البرجوازية التجارية ، كما ان الحكومة ارادت الافادة منهم

لمواجهة المعارضة المتمثلة بحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، فيما يتعلق بقرار الاستمرار بالحرب الى جانب دول الوفاق الودي، والتي يعارضها حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي . (Nahum Sokolbw, 1969, P.36-38.)

استغل اليهود تواطؤ الحكومة المؤقتة معهم، فاصدروا صحف باللغتين اليديشية والعبرية، وأُفتحت العديد من المدارس اليهودية وأُستعملت اللغتين اليهوديتين في التدريس، كما ان اليهود عقدوا العديد من المؤتمرات والندوات التي تسعى الى التثقيف لهم والانتماء للمنظمة الصهيونية العالمية، وكان من ابرزها المؤتمر الذي عقد في موسكو لعموم المنظمات الصهيونية، والمؤتمر الذي عقد في بتروغراد، وقد بعث وزير خارجية الحكومة المؤقتة برقية تأييد للمؤتمر، ومن الجدير ذكره ان كل المؤتمرات اعلنت تأييدها لحكومة كيرنسكي. (Lionel Shapiro, 1932, P.417)

انتعشت الحياة الاقتصادية لليهود بعد الثورة البرجوازية، ووجدوا الفرصة المناسبة في اقتناص مجالات العمل التجاري في روسيا، وتبوء المناصب الحكومية والسياسية في الدولة الروسية، حتى بدا للاخرين ان اليهود هم من يدير شؤون الدولة، بحكم سيطرتهم على مرفقين مهمين من مرافق الدولة وهما السوق التجارية والمراكز الوظيفية ، في حين كانت القوى الاجتماعية الاخرى في غالبيتها العظمى مكونة من الفلاحين وخريجي الكليات والمعاهد. (Gerard Israel, Op. Cit, P.153.)

بعد مساندة اليهود الحكومة المؤقتة في العودة للحرب الى جانب دول الوفاق، صارت بريطانيا بمثابة الحليف الطبيعي للحركة الصهيونية(Nahum Sokolbw, Op. Cit, P.28.) ، مما ساعد يهود السوفييت على كسب اهمية دولية، فضلا عن تحولهم الى عنصر رهان دولي بالنسبة للنتائج الحرب العالمية، كما برزت اهمية التمهيد لاصدار وعد بلفور الذي رأى فيه الساسة البريطانيون ورقة رابحة لكسب تأييد اليهود في الولايات المتحدة الامريكية ويهود روسيا، مما يشكل عامل ضغط على الولايات المتحدة الامريكية لدخولها الحرب الى جانب دول الوفاق، وكذلك الضغط على الحكومة الروسية المؤقتة للاستمرار في الحرب. (Chell, London, 1961, P.570.)

اعلن حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي معارضته للحكومة المؤقتة، لاسيما في الاستمرار في الحرب الى جانب دول الوفاق، واخذ الحزب يحرض بصورة علنية ضد هذا الاجراء، فضلا عن اعلانه الانسحاب من الحرب في حال وصوله الى السلطة، لذا اتجهت بريطانيا الى العمل على ابعاد حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي من الوصول الى السلطة، فاتجهت الى كسب اليهود في محاولة منها لدعمهم حكومة كيرنسكي (Gerard Isirael, Op, Cit, P.155.) ، وفي هذا الصدد يقول استاذ التاريخ في جامعة براندين (فرانك ايمانويل): "**هناك اناس في الخارجية البريطانية على درجة من السذاجة يعتقدون ان الوقوف الى جانب اليهود واصدار وعد بلفور يحول**

دون انحراف اليهود نحو الحزب البلشفي، ويبقى اليهود ضمن صفوف حكومة كيرنسكي". (Leonard Stein, Op, Cit, P.571.)

هناك عامل اخر زاد من اهتمام بريطانيا ليهود روسيا، تمثل في سعي الالمان الى اجتذاب اليهود عن طريق مساواتهم مع السكان المحليين الالمان، والسماح لهم في اعادة تنظيماتهم الدينية، فضلا عن اجازة النشاط الصهيوني ضمن محاولة الالمان لاستمالة يهود روسيا اصحاب رؤوس الاموال والمتحكمين في التجارة والموارد الاولية، مما كان عاملا مهما في دفع بريطانيا الى اصدار وعد بلفور، لكي تضمن ولاء التجار اليهود اليها وابعادهم عن المانيا، مع ضمان ممارسة نفوذهم باستمرار روسيا في الحرب (Nahum Sokolbw, Op. Cit, P.32.)، لكن المفاجأة الكبرى اندلاع الثورة الاشتراكية في روسيا وتسلم البلاشفة السلطة في اكتوبر ١٩١٧، ثم نشر وعد بلفور في اليوم الثاني من الثورة في صحيفة (التايمز) اللندنية(Leonard Stein, Op, Cit, P.560.) ، وبذلك فشل وعد بلفور في الحيلولة دون وصول البلاشفة للسلطة، كما انه فشل في بقاء استمرار روسيا في الحرب الى جانب الوفاق.

بعد نجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ بقيادة حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، بدأت مرحلة جديدة من حياة اليهود في روسيا، فعلى الرغم من ان الثورة الاشتراكية منحت اليهود حقوقهم المدنية، لكن التطبيق الاشتراكي الذي تبناه الحزب البلشفي بعد استلامه مقاليد السلطة (Etienne Antonelli, 1920 , P.71.)
، جعل كل وسائل الانتاج تابعة للدولة، وثم القضاء على كل معالم التجارة الحرة، كما تم الحاق الورش الصغيرة بالمعامل الكبيرة، مما شكل ضربة لمصالح اليهود من تجار وحرفيين، وقد قدر عدد اليهود المتضررين بنحو ٩٠% من مجموع العاملين، وكانوا من التجار واصحاب الحرف. Lionel (Shapiro, P. 412.)

استمر اليهود ممارسة نشاطهم السياسي خلال الاشهر الاولى من تسلم البلاشفة السلطة في روسيا مستغلة انشغالهم بمواجه المشاكل الداخلية والخارجية، فضلا عن مشاكل اقرار النظام، فعقدوا العديد من المؤتمرات، كان ابرزها مؤتمر عقد في اوكرانيا عام ١٩١٨، طالبوا فيه بضرورة توحيد الجهود لضمان حقوق اليهود في الحكومة البلشفية . (Joseph Schechtman, 1961, P.163.)

اتهمت السلطة البلشفية اليهود بانهم يقومون بدور الثورة المضادة، وتقع عليهم مسؤولية اثارة التعصب بين الجماهير اليهودية، وقد صادف ان تعرض زعيم البلاشفة (لينين – Lenin) الى محاولة اغتيال في ٣٠اب ١٩١٨، اذ اطلقت النار عليه فتاة يهودية اسمها (فانيا كابيلان) واصابته بجراح بليغة. (Asgar M. Asgarov, , 2007, P.69.).

بعد ازدياد مشاكل اليهود، اتجهوا الى انشاء مكتب خاص بمشاكلهم داخل حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، اطلق عليه اسم (الايفسكيا)، ومهمته العمل على حل مشاكل اليهود الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن العمل على الحاق اكبر قدر ممكن من اليهود بالمصانع والمعامل، وقد اتفقت اراء هذا المكتب مع حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي على حل مشاكل اليهود (Joseph Nedave, Op. Cit, P.103.)، وكان من المؤمل ان تأخذ هذه الاجراءات دورها في حل تلك المشاكل، لكن اندلاع الحرب الاهلية الروسية والتدخل الاجنبي عام ١٩١٨ حال دون ذلك.

الخاتمة.

تتبع هذا البحث مسار المشكلة اليهودية التي ظهرت في روسيا في القرن الماضي، ومدى تأثيرها على المجتمع الروسي، فقد اتجه اليهود منذ القرن الخامس عشر من الغرب الى الشرق بحثا عن الرخاء الاقتصادي في المجتمعات الاقطاعية، لاسيما بعد ان برزت دوقية موسكو الى الوجود، لكنهم اصطدموا برفض الروس لهم ومنعوا دخول التجار اليهود الى موسكو، وبعد استعادة الاراضي الروسية من السيطرة البولندية، سمحت الحكومة الروسية لليهود الموجودين بالبقاء على اراضيها، ومارسوا عملهم التجاري حتى انهم سيطروا على التجارة في اواخر القرن الثامن عشر وتحكموا بالاسعار، وتمكنوا فيما بعد من تأسيس ما يعرف بالبوند وهو اول تنظيم نقابي جمع اليهود.

في اواخر القرن التاسع عشر اتجهت موجات اليهود من الشرق نحو الغرب الذي تميز بالتطور الرأسمالي، غير ان هجرة اليهود في اواخر القرن الماضي نحو فلسطين حكمتها عوامل خارجية وازمات اقتصادية وحروب متشعبة في العالم، لاسيما بعد صدور لائحة الغرباء في بريطانيا، وارتفاع تكاليف النقل بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية.

اما روسيا فبعد نجاح الثورة الاشتراكية، فقد اعتمدت على مبدأ التطور التاريخي الطبيعي في حل مشكلة اليهود الذين تمسكوا بالبقاء في روسيا، وادى تطبيق هذا المبدأ الى انصهار وذوبان ما تبقى من اليهود في المجتمع الروسي فيما بعد.

المصادر

١. اسحق دويتشر، ستالين، ترجمة: فؤاد طرابلسي، بيروت، ١٩٧٢.
٢. ابراهام ليون، المفهوم المادي للمسألة اليهودية، بيروت، ١٩٧٠.
٣. وسام حسين عبد الرزاق التكريتي، هجرة يهود روسيا الى فلسطين (١٨٨٢-١٩١٧) رسالة ماجستير، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.
4.Arthur Rupp in, The Jews in the in the modern world, London, 1934.
5. Andrey Diky, Jews in Russia and the ussr, New York, 1967.

6. A Alivanov and Pjowett, The Russe- Japanese war (1904-1905), Osprey publishing Ltd, Great Britain, 2004.
7. Asgar M. Asgarov, Reporting From The Front Linen of the First Cold war: American Diplomatic Dispatchs about the internal conditions in the Soviet union (1917-1944), Ph. D. Dissertation, Colloge Park, university of Maryland, 2007.
8. Antony G. Sutton, wall street and the Bolshevik Revolution studies in Reformed theology institute, U.S.A, 2001.
9. Abraham Ascher, interpreting 1905, The Revolution of 1905 and Russias Jew, pennsy Lvania, 2008.
10. Etienne Antonelli, Bolshevik Russia, Translated from the French by Charles A. Carroll, Alfred A. knop, U.S.A, 1920.
11. Ernest Mandel, The Legitimacy of the Russian Revolution, International institute for Research and Education Neete Book for study and Research, Netherlands, 1999.
12. Gerard Israel, The Jews in Russia, New York, 1975.
13. Haim Wezmann, Letters a papers, 11, Oxford University, London, 1971.
14.Henry Tobias, The Jewish Bund in Russia, Stanford University, California, 1972.
15.Isaac Rubinow, Economic conditions of the Jews in Russia, A study written in 1907, Arno press, New York, 1975.
16. Joseph Nedave, Trotsky and the Jews, The Jewish publication house society, philadeiphia, 1971.
17.Joseph Schechtman, A star in Eclipse, Thomas Yoseloff, New York, 1961.
18. Joseph Schechtman, A star in Eclipse, Thomas Yoseloff, New York, 1961.
19. John Spargo, Bolsherism the enemy of political and lundustrial Democracy, Harper and Brother, pubishers, U.S.A, 1919.
20. В.А. ПоТатуров, ОТЕЧЕСТВЕННАЯ ИСТОРИЯ, Московский институт экономики, менеджмента и права, Москва, 2004.
21. Роберт Конквест, жатва скорби Публикации янтерсчандЕ Ltd, Лондон ,1988.
22. Leonard Stein, the balfour Declaration, Vallentin-mitchell, London, 1961.
23. Lionel Shapiro, Outline of the history of Russian and Soviet Jewry (1912-1974), in Dubnow, S., history of the Jews in Russia and Poland, Vol. 11, New York, 1932.
24. Louis Greenberg, The Jews in Russia, yale university Vol. 11, London, 1965.
25. М. Джудит, Иран в XX веке: политическая история, д. I, Москва, 1994.
26. Nahum Sokolbw, History of Zionism, ktav publishing house, New York, 1969.
27. Neil Harding, Lenin's political thought theory and practice in the Democratic and socialist Revolution, Chicago, 2000.
28. Ruppin Arthur, The jews in the modern world, Macmillan Co., London, 1934.
29. S.W Dub now, History of the Jews in Russia and Poland, Ktav publishing House lne, V.I New York, 1975, P.39.
30. Vladimir Moss, The fall of the Russian Empire A spiritual History, East House, England, 2010.

* ايفان الرهيب: اول من حمل لقب قيصر روسيا، ومؤسس الكيان المركزي للدولة الروسية بعد تحطيمه العائلات الاقطاعية النبيلة، عُرف بالقسوة والاستبداد والعصبية ، فقد قتل ابيه في احدى نوبات غضبه، قاد الكثير من الغزوات، تمكن من انشاء جيش نظامي، يعده البعض شخصية روسية وطنية. عبد الوهاب الكيالي واخرون، موسوعة السياسة، ج١، بيروت، ط٥، ٢٠٠٩، ص٤٤٤.

* كاثرين الثانية: امبراطورة روسية، المانية الاصل، اسمها صوفيا اوغستا، اعتنقت المذهب الارثوذكسي، تزوجت من بطرس الثالث وريث العرش، وعندما وصل بطرس الثالث للحكم تآمرت عليه واطاحت به واعلنت من نفسها امبراطورة على روسيا، واثناء حكمها تبنت سياسة عدائية تجاه الدولة العثمانية. يراجع:

The new encyclopedia Britannica, Vol.3, Chicago, 1986, P.1006.

** حرب القرم: حصلت نتيجة تطلع روسيا لاقسام املاك الدولة العثمانية فأعلنت روسيا حماية الرعايا المسيحيين في الاماكن المقدسة في القدس الخاضعة للسيطرة العثمانية، ادى ذلك الى تدخل الدول الاربعة، لاسيما بريطانيا وفرنسا اللتان اعلنتا الحرب ضد روسيا واشترك اساطيلها في الحرب، فأدى الى اندحار روسيا وطلبت الصلح وتم عقد معاهدة باريس عام ١٨٥٦. يراجع:

James Henry skene, with Lord Stratford in the Crimean war, Richard Bentley and son, London, 1883. P.25; Harry Powell, Recollecllections of a young soldier during the Crimean war, up stone and doe, London, 1876, P.3;

هاشم صالح التكريتي، دبلوماسية حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦، مجلة "المؤرخ العربي"، العدد ٣٦، ١٩٨٨، العراق، ص١٠٣-١٢٢.

**** اكسيلورد: روسي ولد عام ١٨٥٠، وبعد انشقاق حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي انضم الى المناشفة، وبعد اعلان الحرب العالمية الاولى، اتخذ موقف الوسط، توفي ١٩٢٨. لينين حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية، ترجمة: دار التقدم موسكو، (د.ت)، ص٥٠٥.

*****نارودنايا فوليا: منظمة سرية، تأسست عام ١٨٧٩، اتجهت الى الارهاب السري وفي عام ١٨٨١ وفشلت المنظمة في اغتيال القيصر الكسندر الثاني، وفي نهاية القرن التاسع عشر اتجهت نحو النظام الرأسمالي وحاربت الماركسية. للمزيد يراجع: روزنتال و ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كريم، ط٥، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٦١-٢٦٢.

***** البوند: وهو الحزب الاشتراكي اليهودي تأسس ١٧٩٨، انضم اليه الحرفيين اليهود، عارض في البداية اهداف الصهيونية العالمية، انضم الى حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، لكن سرعان ما غادره عام ١٩٠٣، وبعد فشل ثورة ١٩٠٥ واضطهاد اليهود اعلنوا المؤازرة للصهيونية العالمية، حل الحزب عام ١٩٢١. قابل محسن كاظم، لينين ودوره السياسي في روسيا، اطروحة دكتوراه، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٧، ص٥٠.

****** مارتوف : يهودي روسي، من زعماء المناشفة، عارض المبادئ الاشتراكية بعد نجاح الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧، وانضم الى القوى المعادية لها اثناء الحرب الاهلية الروسية، وبعد فشل الحرب غادر روسيا عام ١٩٢٠ وتوفي ١٩٢٣. سيرجي ديمتريف وفيزوفولدا ايفانوف، تاريخ النضال ضد التروتسكية، ترجمة: دار التقدم، بيروت، ١٩٧٤، ص٩١.

******** المئات السود: حزب اقطاعي تشكل في روسيا القيصرية، وضم كبار الاقطاعيين واصحاب العقارات والملاكين، عمل بأمر المخابرات القيصرية، وكانت مهمته اغتيال العناصر الثورية، فضلا عن العمل على اثارة الخلاف القومي بين الشعوب . قابل محسن كاظم، المصدر السابق، ص٨٣.